وأحرقه وطحنه وذراه

لما نزل موسى من الجبل وأبصر العجل الذي صنعه هارون للشعب ليعبدوه: "أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل" (خر٣٢:٢٠). وفي الحقيقة لو تتبعنا دورة حياة هذا العجل الذهبي لوجدنا أنه كان في الأصل أقراط ذهب في آذان نساء وبنين وبنات شعب بني إسرائيل (خر٣٢:٢) وأن هذه الأقراط كانت من ضمن أمتعة الفضة والذهب التي سلبها الشعب من المصريين عند خروجهم من مصر (خر١٢:٣٥).

دورة حياة هذا العجل الذهبي هي في الحقيقة **دورة حياة إنساننا العتيق**: ١) هو مقتَرض من العالم ودخيل على الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله كما الزوان ٢) يصير هذا الإنسان العتيق موضع فخر وزينة صاحبه كما الأقراط في الأذن ٣) إذ ينمو ويتأصل ويتجبر يتحول إلى إله يُعبد ٤) يفنى ويتلاشى بواسطة عمل الروح القدس في الحرق، والطحن، والتذرية.

والكتاب المقدس لم يذكر عبثاً التسلسل الذي اتبعه موسى حتى يتخلص من العجل. إنها في الحقيقة المراحل المتتالية التي يدخلنا فيها الروح القدس حتى يفنى إنساننا العتيق ويولد الجديد الذي يتجدد على صورة خالقه:

١) أخذ موسى العجل: هي عملية تسليم الإنسان المريض بداء الخطية ذاته بين يدي الله الطبيب الحقيقي لكي يتمم عمله الشفائي فيه.

٢) أحرقه بالنار: هي المرحلة الثانية حيث يؤدي حرق العجل الذهبي بالنار إلى تلاشي معالمه وملامحه عند انصهاره ومع ذلك هو لا يفنى ولكنه لايزال موجوداً ولكن بدون معالم. هكذا عمل الروح القدس الناري الذي يؤدي إلى تلاشي هوية الإنسان العتيق وتشوه معالم وبصمات العالم فينا. تحترق الذات وتبهت معالمها ولكن يبقى ناموسها كائناً في أعضاء الإنسان يسببه إلى الخطية.

٣) طحنه حتى صار ناعماً: إذ ينجح الإنسان في قمع أهوائه في المرحلة السابقة إلا أنها تبقى كامنة في داخله متربصة لتغتنم الفرصة لمباغتته وهنا يُدخله الروح القدس في مرحلة الطحن وهي عملية دقيقة جداً لا تنتهي حتى يُسحق الإنسان العتيق سحقاً ويصير غباراً ناعماً.

٤) ذراه على وجه الماء: هي مرحلة ذوبان وتلاشي غبار الإنسان العتيق فيصير أمراً مستحيلاً أن تقوم له قائمة من جديد. عمل الروح القدس من خلال الماء من بعد النار هو عمل التعزية اللطيف الذي يمنح برودة وسط آتون التمحيص.

٥) وسقى بني إسرائيل: لعل هذه العبارة تذكرنا بشريعة ماء الغيرة التي يسقيها الكاهن للزوجة التي يشك الزوج في خيانتها له فلو كانت مذنبة يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فتتورم بطنها ويسقط فخذها ولو كانت بريئة تتبرأ وتصير مثمرة إذ تحبل بزرع (عدة: ١١-٢٩). هنا ينطبق قول الرسول: "لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فُلحت من أجلهم تنال بركة من الرب ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق" (عب٦: ٧-٨). هذه هي المرحلة الأخيرة التي يصير فيها عمل الروح القدس إما للحياة والبركة والإثمار أو لحكم الموت واللعنة والدينونة.